Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" نهضت بى إلى بلخ تجارة البز. فوردتها وأنـــا بعـذرة الشبـاب .وبـال الفراغ.وحلية الثروة. لا يهمنى الا مهرة فكر أستقيدها .أو شرود من الكلـم أصيدها " (٤)

هذه الأوصاف نلمح فيها الثابت والمتغير ؛ فعيسى طوال ظهوره فى المقامات منشغل بتحصيل العلم – المقصود علوم اللغة والأدب – ولكنه أحيانا يكون تاجرا كما فى المقامات القريضية ،والبلخية ،والأرمنية ،وأحيانـــا هـو قاض كما فى المقامتين الشامية والخلفية، ومرة حاكم كما فى المقامة التميمية، وغالبا ما لا يفصح عيسى عن هذا الجانب من شخصه ، لكنه فى كـــل تلـك الأحوال مهتم بالأدب وشئونه واللغة وغريبها، ذلك الاهتمام لايتم الإفصـــاح عنه دائما بصورة صريحة، إنه ملمح قار فى شخصيته يمكن أن نتعرف عليه بسهولة. فهو فى المقامة الأسدية يتمنى لقاء الإسكندرى لما سمعه عن بلاغـة الأخير وفصاحته يقول "*كان يبلغنى من مقامات الأسكندرى ومقالاتـــه مـا يصغى إليه النفور .وينتفض له العصفور. ويروى لنا من شعره ما يمـــتزج بأجزاء النفس رقة. ويغمض عن أوهام الكهنة دقة. وأنا أســـأل الله بقـاءه حتى أرزق لقاءه*"(٥) وفى السجستانية يستوقف عيسى خطيب لما له من قدرة على إتيان المعانى يقول: *"خرق سمعى صوت له مـــن كـل عـرق معنـى فانتحيت وفده*"(٦) وهكذا يمكن أن نلمح فىكل مقامة تقريبا ما يقـود إلـى أن الاهتمام بالأدب واللغة من الملامح الأساسية فى شخصية عيسى.

يتراوح حال عيسى ،بحسب ما يصف فى بدايات المقامـــات ، بيـن الغنى والفقر ؛ فهو غنى يصف غناه فى كـل مـن المقامـات القريضيـة ، والبلخية، والأذربيجانية ، والبصرية ،والأسودية . ويكون لهذا الغنى دور فى خلق الجو الملائم للحدث ، ففى البلخية مثلا يأتى ذكر الغنى فى سياق طـرح عيسى لأهم صفة فيه ، إنه لاينشغل بشئ قدر انشغاله بـ:*"مـــهرة فكـر" أو*